

الحياة الثقافية في مدينة تنبكت (تيمبكتو) *

في القرن 10هـ / 16م

الاعتماد : جنبري حيدر
ماجستير تاريخ - الجزائر

تنبكت ... المدينة الخالدة هذه المدينة⁽¹⁾ وحملت أسماء عديدة منها: "المدينة العجيبة"، و "المدينة

الأسطورية"⁽²⁾ و " جوهرة الصحراء "⁽³⁾، و " مدينة الإشعاع الثقافي " ⁽⁴⁾ وغيرها من الأسماء الأخرى.

برزت هذه المدينة كمدينة تجارية يؤمها البائع والمشتري وسرعان ما أصبحت مركزا ثقافيا يؤمها المعلم والمريد، وبالتالي لعبت المدينة الدورين التجاري، والثقافي فالدور الأول لعبته منذ نشأتها إذ أنها تقع على ملتقى القوافل البرية عبر الصحراء، والقوافل النهرية التي تسير بنهر النيجر، غير أنها بلغت ذروة ازدهارها الاقتصادي في القرن 10هـ/16م، الذي عرف بالعصر الذهبي لتلك المدينة.

* **تنبكت (تيمبكتو) - إشكالية التسمية ونطقها:** إن أول ما يعترض الباحث في تاريخ مدينة تنبكت الإسلامية هو أصل التسمية وكيفية نطقها .

فيما يخص الملاحظة الأولى، قامت مدينة تنبكت الإسلامية حول بئر ماء كانت تقف عندها الإبل بالقوافل التجارية لتروي عطشها وتتزود منها وتملأ منها قريبا ، وكانت تقيم عند هذا البئر عجوز تدعى بوكتو، وعرف المكان باسمها ونطقت تيمبوكتو . للمزيد انظر: عمر بن سالم بابكور النهضة العلمية والثقافية في مدينة تمبكت الإسلامية في القرن 10هـ/16م ، دار

الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2004، ص 1.

أورد عدد من المؤرخين أن كلمة تيمبوكتو مركبة من كلمتين هما: "تين" وتعني باللغة الطارقية "مكان "و" بوكتو" هو اسم تلك العجوز

للمزيد انظر: John Marriner , *Sailing to Timbuctoo* , William kimber, London , 1973. p.173.

هذه العجوز اشتهرت بالأمانة.للمزيد انظر :

Dubois Felix, *Tombouctou la Mystérieuse* , la Brnieie Elammariou, paris.1897.p42..

كانت تقيم في ذلك المكان وكان الطوارق، وأهل المنطقة القادمون من أماكن بعيدة يستأمنونها في تخزين مؤنهم، وبعض الأشياء الأخرى، التي كانوا في غير حاجة لنقلها معهم إلى مناطق استقرارهم في الشمال ، وكان عندما يصل الطارقي إلى موطنه الأصلي يسأل، أين أمضيت فترة الجفاف ؟ أو أين لجأت بقطعان ماشيتك أثناء سفرك ؟ أو أين خبأت أمتعتك ؟ يقول : وضعتها عند " تين - بوكتو "، ومع مرور الزمن اندمجت الكلمتان معا فأصبحت "تين بوكتو" ، ثم تمبكتو و تنبكت ، وبذلك سميت المدينة. للمزيد انظر: علي محمد عبد اللطيف، **تيمبكتو أسطورة التاريخ**، الطبعة الأولى دار الكتب الوطنية بنغازي، 2001، ص 6 وما بعدها.

ولا يزال مكان بوكتو العجوز الطارقية ، التي ينسب إليها اسم المدينة موجودا، وهو حاليا عبارة عن مثلث يقع في قلب المدينة القديمة.للمزيد انظر: John, (M), Ibid. p.181.

نستنتج من خلال كل ما سبق، إن مدينة تيمبوكتو أو تيمبوكتو أخذت اسمها من عجوز ذات أصل بربري، كان الطوارق يتركونها لتحرص لهم أمتعتهم وأدواتهم خلال غيابهم عنها.

أما فيما يخص الملاحظة الثانية، فإن الاختلاف وقع في حركات الكلمة بين من يقول بضم التاء الأولى، والثانية فنطقت " تنبكت وهذا كما جاء في المصادر السودانية تاريخ السودان للسعدي، وكذلك في كتاب الفتاش لمحمود كعت، وأيضا في كتاب نيل الابتهاج وكتاب كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج لأحمد بابا التنبكتي، وكذلك وجدت في كتاب تذكره النسيان في تاريخ ملوك السودان لكاتب مجهول ومن يقول بضم التاء وسكون الباء الموجودة، وسكون الباء الموجودة و سكون الكاف وضم التاء الثانية بعد الواو فنطقت " تنبكتو" نطقها ابن بطوطة بهذا اللفظ ، في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار وفي الحقيقة، أن هذه اللفظة هي أقدم صيغة وردت لاسمها في رحلته رحلة ابن بطوطة. أما الحسن الوزان فنطقها " تومبكتو" في كتابه وصف إفريقيا، ونطقها صاحب كتاب إفريقيا كريخال مارمول " تمبكتو" تارة ، وتارة أخرى " تنبكتو".

أما الباحثون المعاصرون، فنطقوها " تمبكتو" بالتاء ،والميم، منهم: عبد القادر زبادية إسماعيل العربي، آدم عبد الله اللوري ... وغيرهم. فنطقوها بالتاء والميم أيضا منهم : ديبوا، بارث ، رينيه كالييه .. وغيرهم. غير أننا نميل إلى لفظ " تنبكت" كما جاء في المصادر السودانية

- **نشأة المدينة:** بعد أن بحثنا في أصل التسمية ورأينا اختلاف الكتاب في شكل كتابة اسمها ونطقها. وسنتطرق الآن إلى تاريخ نشأة المدينة يرى المؤرخ عبد الرحمان السعدي أن المدينة أنشئت على أيدي طوارق مغشرون في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي ، هؤلاء كانوا ينزلون بها في فصل الصيف ، ثم يرتحلون في فصل الخريف ، ومنه اختاروا موضع هذه البلدة الطاهرة الزكية. للمزيد انظر : عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن ناصر السعدي، **تاريخ السودان**، تحقيق هوداس و بنوة باريس، 1964، ص 20.

أما الدور الثاني فقد أصبحت مدينة تنبكت (تمبكتو) حاضرة للثقافة الإسلامية، ومركز إشعاع في الميدان الديني في السودان الغربي، بل في غرب إفريقيا كلها، بما لها من نشأة دينية حينما أسست على الدين الحنيف ونشأت عليه معارفها وعقيدتها، بل وتعددت مختلف أنواع الحياة بها وقد بلغت المدينة عنفوان مجدها وعظمتها في القرن 10هـ/16م إذ أصبحت عمقا حضاريا متميزا.

هذه الدراسة سنخصصها للدراسة الحياة الثقافية في مدينة تنبكت (تمبكتو)، ولنبين ذلك الاحتكاك الذي حصل بين السودانيين والتجار، والعلماء القادمين من دول شمال الصحراء ومصر وتبادل الأفكار، وبالتالي التأثير و التأثير في المجال الثقافي.

1- التعليم: إن الوثائق الإفريقية، والعربية تتيح لنا فرصة الحصول على معلومات كافية عن المراكز الثقافية التي شعت منها الثقافة العربية إبان العصور الوسطى، والحديثة، وفي مقدمة هذه المراكز تنبكت التي كثرت فيها المدارس، والمساجد وبعض هذه المساجد كانت مقرا للتعليم، إذ تعقد فيها حلقات لهذه الغاية. وإلى جانب كل مسجد هناك غرفة أو غرفتان لتعليم الأولاد⁽⁵⁾.

1-1- المساجد:

1-1-1- الجامع الكبير: والمسمى عند أهل تنبكت " بجنكر بير" أو " جنجر بير" ومعناه المسجد الكبير وهو أول مسجد بنى في تنبكت⁽⁶⁾، بناه السلطان منسى موسى في عام 726هـ/1327م⁽⁷⁾ صومعته متكونة من خمسة صفوف، وفي خارجه توجد قبور من جهتي اليمين والمغرب، وتلك عادة السودان أهل المغرب، فالمغاربة لا يدفنون أمواتهم إلا في رحاب مساجدهم، وجوامعهم.

أورد صاحب كتاب تاريخ السودان، أن الفقيه العاقب بن القاضي محمود⁽⁸⁾، خرب المسجد يوم الأحد 15 ذي الحجة 977هـ/1569م، وأعاد بناءه يوم الثلاثاء 15 رجب 977هـ/1569م، وفرغ منه عام 978هـ/1570م، وكان هذا في عهد أسكيا داوود الذي ساهم بدوره في إعادة بنائه⁽⁹⁾ وتوسيعه⁽¹⁰⁾، بأن بعث بأربعة آلاف 4.000 خشبة من شجر كنكو، ومنه اكتمل بناؤه⁽¹¹⁾.

ولما زار الرحالة الألماني بارث تنبكت في القرن 19م، وصف المسجد وصفا دقيقا بقوله: " يوجد في المسجد أكبر برج، في حين أن الجزء الرئيسي من المبنى يضم تسعة أجزاء مختلفة الحجم، يقول ويقدر طوله بـ: 262 خطوة، وعرضه بـ: 194 خطوة وفيه سبعة نوافذ في الجانب الشرقي، وبه مساحة فسيحة"⁽¹²⁾، ويقع المسجد في الجزء الغربي من المدينة⁽¹³⁾. الرحالة الفرنسي رينيه كالييه وصف مسجد تنبكت وصفا دقيقا ويعتبره أكبر المساجد الموجودة في تنبكت، به 5 أبواب مختلفة الأحجام، من الجهة الشرقية وثلاث (3) أبواب من الجهة الجنوبية، وبابين من الجهة الشمالية، وعلى الجدار الشرقي منه زخارف ملونة

باللون الأصفر، وجدران المسجد مبنية بالأجر المدور المجفف بالشمس، والممزوج ببقايا الأرز، وجدرانه مرتفعة على علو 25 قدما (8.25 متر)⁽¹⁴⁾، وهو أول معلم يتراءى لزائر المدينة⁽¹⁵⁾. أما منذنته فهي هرمية الشكل وهو أول بناء من هذا الطراز في بلاد السودان ولا يزال هذا المسجد قائما بشكله الهرمي إلى يومنا هذا، ويصلي فيه الناس⁽¹⁶⁾.

ويكون قد نقل ذلك النموذج عن المغاربة، بالإضافة أنهم كانوا يقيمون القبور بالقرب، أو بداخل المساجد، وخاصة أضرحة العلماء والصالحين⁽¹⁷⁾.

- **أئمة مسجد الكبير في تنبكت:** تعاقب على إمامة المسجد عدد من الأئمة، وسأكتفي بذكر الأئمة الذين تولوا منصب الإمامة في القرن 10 هـ / 16 م ومنهم:

(1) - الإمام أبو القاسم التواتي: - رحمه الله -⁽¹⁸⁾.

(2) - الإمام منصور الغزالي: - رحمه الله - وهو الذي خلف الإمام أبا القاسم التواتي وهو من تلامذته⁽¹⁹⁾ وهو من علماء شمال إفريقيا⁽²⁰⁾.

(3) - الإمام الفقيه إبراهيم الزلفي: - رحمه الله - جاء مع جماعة من علماء، وشرفاء تافلات وفي الوقت الذي توفي فيه كان يوجد في تنبكت خمسون (50) عالما من توات⁽²¹⁾.

(4) - الإمام علي الجزولي: - رحمه الله -⁽²²⁾.

(5) - الإمام صديق بن محمد تعل: - رحمهما الله - كان عالما فقيها...، ارتحل إلى تنبكت وتوطن فيها⁽²³⁾.

(6) - الإمام عثمان بن الحسن بن الحاج التشتي: - رحمهم الله -⁽²⁴⁾.

(7) - الإمام محمد بن أبي بكر بن أكداد الفلاني: - رحمهم الله - وتوفي في 29 محرم 989 هـ / 1581 م⁽²⁵⁾.

(8) - الإمام أحمد بن الإمام صديق: - رحمهم الله - تولى الإمامة بأمر من القاضي العاقب ومكث فيها 15 عاما، وهو آخر أئمة الجامع الكبير في عهد سنغي⁽²⁶⁾.

1-1-2- مسجد سنكري: يقع مسجد سنكري في الشمال الشرقي للمدينة⁽²⁷⁾، بنته امرأة واحدة أغلالية ذات مال كثير في فعل البر ولا يعرف تاريخ بنائه⁽²⁸⁾. إلا أن الباحثين المعاصرين حاولوا تحديد تاريخ بناءه وها هو الباحث سينكي مودي سيوكو، يقول: أن المسجد بنا في النصف الأول من 9 هـ / 15 م⁽²⁹⁾ أما الباحث جون مارينر فيرى أن المسجد أنشئ أعواما قليلة بعد عام 1325 م، ولكن التاريخ المحدد لهذه النشأة يبقى مجهولا⁽³⁰⁾. والرحالة الأوربي بارث يرى أن مسجد سنكري بنى قبل المسجد الكبير⁽³¹⁾، أي قبل عام 1327 م.

ومهما يكن من اختلاف، فالثابت هو أن المسجد أعيد بناؤه من طرف أحد قضاة تنبكت، وهو الحاج العاقب بن القاضي محمود، وكان هذا سنة 989 هـ / 1581 م، وأخذ مقاس طولاً، وعرضا من الكعبة الشريفة

خلال حجه إلى مكة⁽³²⁾، أما المؤرخ عبدالرحمن السعدي فيرى أن تاريخ تجديد بناء المسجد كان عام 986هـ/1578م⁽³³⁾، وبه بابين من الجهة الجنوبية، وباب واحد من الجهة الشمالية⁽³⁴⁾، ويقدر طوله بـ: 120 قدما (39.6 متر)، وعرضه 80 قدما (26.4 متر)⁽³⁵⁾.

- أئمة مسجد سنكري: تعاقب على إمامة مسجد سنكري عدة أئمة منهم:

(1) - الإمام أندغ محمد بن الفقيه المختار النحوي - رحمهم الله -⁽³⁶⁾.

(2) - الإمام الفقيه أبي بكر بن أحمد بير - رحمهم الله -

(3) - الإمام عبد الرحمن بن الفقيه محمود - رحمهم الله -

(4) - الإمام محمد بن محمد كرى - رحمهم الله -

(5) - الإمام سنتاعون بن الهادي الوداني - رحمهم الله -⁽³⁷⁾.

(6) - الإمام أحمد بن محمد عثمان بن عبد الله بن أبي يعقوب التنبكتي - رحمهم الله -⁽³⁸⁾.

1-1-3- مسجد سيدي يحيى: وهو اصغر بكثير من المسجدين السابقين⁽³⁹⁾ وجدرانه أقل ارتفاعا⁽⁴⁰⁾ يفيد

عدد من المؤرخين بأنه أول جامع بنى في مدينة تنبكت، على يد سلطان مغشرن الطارقي⁽⁴¹⁾ الملك عقيل⁽⁴²⁾

في القرن 5هـ/11م، بنى هذا المسجد ليصلوا فيه الجمعة، والصلوات وبعد انقراض دولتهم أندرس المسجد،

وخرب ولم يبق إلا موضعه ثم جدده الشيخ محمد نض وبناءه على أحسن ما كان عليه، وجعل الشيخ القطب

الرباني سيدي يحيى⁽⁴³⁾ إماما فيه، فتوفيا معا عام 888هـ/1483م، ثم أعاد بناءه، وتوسيعه القاضي العاقب بن

القاضي محمود عام 976هـ/1568م⁽⁴⁴⁾، ويقع هذا المسجد في وسط المدينة⁽⁴⁵⁾.

- أئمة مسجد سيدي يحيى: تعاقب على مسجد سيدي يحيى مجموعة من الأئمة نذكر منهم:

(1) - الإمام بن محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي المعروف ببغيع: رحمهم الله - (سبق ذكره).

(2) - الإمام بن محمد الونكري: رحمهم الله - توفي عام 1018هـ/1609م.

(3) - الإمام أحمد بن سعيد، رحمهم الله - توفي عام 1040هـ/1630م.

(3) - الإمام إبراهيم بن عبدالله: - رحمهم الله، توفي رحمه الله عام 1140هـ/1727م.

(4) - الإمام إبراهيم بن أحمد: - رحمهم الله، توفي رحمه الله عام 1157هـ/1744م⁽⁴⁶⁾.

لما فرغ الفقيه العاقب بن القاضي محمود من ترميم المساجد الثلاث السابق ذكرها رجع لبناء مسجد سوق

تنبكت، وهو آخر ما ابتنى رضي الله عنه⁽⁴⁷⁾. ويضيف صاحب مخطوط السعادة الأبدية في التعريف

بعلماء تنبكت البهية، مولاي أحمد بابير الأرواني، أن العاقب بنى مسجد الهناء عام 949هـ/1542م لكنه

أندرس، وخرب فلم يبق إلا موضعه ويقول صاحب المخطوط، أن المسجد سقط على كثير من الأولياء، والله أعلم. وموضعه معروف ويزار إلى الآن⁽⁴⁸⁾.

وهناك مسجد التواتيين، يفيد مولاي أحمد بابير الأرواني، أن المسجد بنى في عام 1190هـ/1776م إلا أن الباحث الهادي المبروك الدالي يقول أن المسجد بنى قبل هذه الفترة بزمان بعيد، ويستند في ذلك على الرواية الشفوية، التي ترى أن تاريخ بنائه عام 920هـ/1514م، بناء محمد علي التواتي، القادم من بلدة توات مع جماعة من أبناء جلدته وسبب بناء المسجد وقوع خلافات دينية بينه، وبين بعض من أهالي تنبكت وقد تعاقب عليه عدد من الأئمة منهم، الفقيه محمود بن محمد الزغوي التنبكتي⁽⁴⁹⁾، واستمر فيه إلى أن توفي عام 1011هـ/1602م⁽⁵⁰⁾.

الرحالة الفرنسي رينيه كالييه يحصي خمسة مساجد أخرى، لكنها صغيرة⁽⁵¹⁾، أما الرحالة الألماني بارث، أكد على وجود ثلاثة مساجد أخرى، باستثناء مسجد الجامع - مسجد سنكري - مسجد سيدي يحيى وهم جامع سيدي حاج محمد، وجامع مسعد بلال وجامع سيدي بامي (البامي)⁽⁵²⁾، ومنه يلاحظ أن بارث أضاف أسماء ثلاث مساجد أخرى لم يرد ذكرها وربما أنها بنيت خلال القرون اللاحقة (17م - 18م - 19م)، ولم يشر لمسجد التواتيين هذا.

تنافس العلماء والعاملين للخير وحب الدين على بناء المساجد وكانت الأموال التي تصرف على المساجد وصيانتها، وترميمها في مدينة تنبكت. القاضي العاقب بن محمود بن عمر أقيت أنفق في ترميم المساجد الثلاث (المسجد الكبير - مسجد سنكري - مسجد سيدي يحيى)، ما لا يعرف نهايته إلا الله .

تعالى، كان ينفق يوميا سبعا وستين(67) مثقالا إلا ثلثا، وقد نافسه في الإنفاق الحاج الأمين⁽⁵³⁾. وهناك صورة أخرى في الإنفاق على المساجد. يذكر المؤرخ محمود كعت، أن أسكا الفع بكر، أرسل 27 نفسا إلى إمام المسجد الكبير، وأمره أن يستعملهم في خدمة المسجد، والنسوة منهم تتسجن حصر المسجد وفرشه، والرجال يحمل بعضهم الطين له ويقطع له الخشب، ثم بعث مرة أخرى 27 نفسا، وقال لرسوله اذهب بهم إلى الإمام أيضا، وقل له هؤلاء صدقة مني⁽⁵⁴⁾.

وعند دراسة بقايا الآثار الإسلامية في تنبكت وغيرها، يكشف لنا عن وجود أسلوب سوداني في العمارة متأثرا بالطراز الإسلامي، وهو أسلوب عمراني يمتاز بقلّة النقوش داخل المسجد لكنه احتفظ بالترتيب وبالخطوط الهندسية والكتابات القرآنية. وظلت المحاريب على طراز بنائها العربي، وكانت المادة الأساسية في الآثار العمرانية الإفريقية من الطين المجفف أو المشوي. واحتفظ الأفارقة باسم المحراب وهو حفرة في الجدار يقف فيها الشيخ لإمامة المصلين في المسجد⁽⁵⁵⁾.

المساجد الثلاث المسجد الكبير وسنكري، وسيدي يحيى أصبحت بمثابة جامعات ومعاهد تعليمية كبرى ومراكز ثقافية، وتربوية⁽⁵⁶⁾، وحقت هذه المساجد أهدافها التعليمية والثقافية، والتربوية، وتخرج منها القضاة والعلماء والأدباء⁽⁵⁷⁾، فكانت أماكن للتدريس وكان من أشهرها وأكثرها اكتظاظا بمجموع الطلبة والمدرسين خلال القرن 10هـ / 16م جامع سنكري⁽⁵⁸⁾، إذ بلغ عدد الطلبة حوالي 10.000 إلى 15.000 طالب من مختلف الأعراق، وليس بينهم تميز، ولا بمعيار⁽⁵⁹⁾. ويعتبر سنكري بمثابة جامعة إسلامية كبرى على غرار القرويين بفاس، والزيوتونة بتونس والأزهر بمصر ومساجد تلمسان وبجاية وقسنطينة، وعناية تصدى للإقراء والوعظ والإرشاد، ودرس بها مختلف العلوم⁽⁶⁰⁾.

وأضحى واحد من أكبر مراكز المعرفة وملجأ للشعراء والباحثين الموريين الذين فروا من الأندلس حاملين معهم الثروات الثقافية الغرناطية، والقرطبية، ويحتمل أن تنبكت اكتسبت ميزات المعمارية بعدما استقبلت هذه الهجرة⁽⁶¹⁾.

1-2- المدارس: كانت المدارس تمتاز بظاهرة عامة، هي ارتباطها الشديد بالدين، ففي أول الأمر كانت المدارس ملحقة بالمساجد وبازدياد قوة الإسلام، وظهور المرابطين في القرن 4هـ / 10م ألحقت المدارس بالرباط، هو المكان الذي يقيم فيه المرابطون للتعبد، وقد قلد الإفريقيون هذا النوع من المدارس فأصبح إلى جانب كل زاوية من زوايا الفرق المذهبية، والدينية مدرسة لتعليم الأطفال، على أنه في القرى الصغيرة، التي تخلوا من المساجد كان الأطفال يتلقون تعليمهم بواسطة أحد الدعاة في ساحة صغيرة في الحي⁽⁶²⁾. وكان في تنبكت في القرن 10هـ / 16م حوالي 180 مدرسة قرآنية، وآلاف من الطلبة القادمين من جميع أنحاء السودان، والساحل، وكان الأساتذة، وبعض الأهالي يستضيفون الطلبة عندهم، ولم يكن الأساتذة يتقاضون أجورا، ولكنهم كانوا يعيشون مع ذلك في بحبوحة كافية، ويتفرغون تماما للدراسة ليلا، ونهارا⁽⁶³⁾. وكان يدرس، ويتلقى العلم في هذه المدارس أكثر من 30 ألف طالب كانوا يتوافدون على المدينة من مختلف السودان الغربي، يوم كان عدد سكان المدينة في أوج ازدهارها⁽⁶⁴⁾.

1-2-1- مراحل التعليم: كان التعليم في تنبكت خلال القرن 10هـ / 16م، يقسم إلى ابتدائي، وثانوي وعال⁽⁶⁵⁾.

أ- المرحلة الابتدائية: التعليم الابتدائي هو المرحلة الأولى الأساسية لكل طلاب، وهذا بالإضافة إلى أن مرحلته هي الوحيدة التي يبدو أنه كان يراعي فيها إلى حد ما مستوى السن، فكان التلاميذ في السلك الابتدائي لا يتجاوزون في أغلبيتهم مرحلة الصبا، وفي هذه المرحلة الابتدائية كان الآباء هم الذين يقومون أبناءهم إلى معلمي الصبيان ويجبرونهم على الدوام كما يراقبون مدى استيعابهم⁽⁶⁶⁾.

ويتولى التدريس في هذه المرحلة معلمو الكتاتيب التي انتشرت في المدن والقرى على السواء وكان يدرس للطلاب مواد أساسية كحفظ القرآن الكريم والصلاة وتعليم اللغة العربية ومبادئها، وإتقان الخط⁽⁶⁷⁾ وكانت المدارس تفتح صباحا نحو ثلاث ساعات بعد الظهر والمساء نحو 9 ساعات الأطفال يتوجهون باستمرار وبالتناوب إلى المدرسة في ساعات مختلفة من اليوم، ومن حفظ القرآن يعتبر قد أنهى دراسته⁽⁶⁸⁾. أما عن طريقة التدريس فكان الأطفال يلتفون حول مدرسهم وهو يمثل ناظر المدرسة في الكتاب ينصتون إليه ليعلمهم القرآن واللغة العربية، فكان هذا منظرا جميلا لنواة المجتمع العلمي⁽⁶⁹⁾. وقد يصل عدد الصبيان في المدرسة إلى 123 صبيا⁽⁷⁰⁾.

ب- مرحلتا التعليم الثانوي والعالي: وبعد أن ينهي الطالب مرحلة التعليم الابتدائي، يدخل مرحلتا التعليم الثانوي والعالي ولم يكن لهاتين المرحلتين عرف معين في السن، كما أن الفروق بينهما لم تكن واضحة ولعل مرد ذلك إلى أن هاتين المرحلتين كان التعليم فيها حرا بالنسبة لانخراط الطلبة، وهذا المرحلة تمتاز بأن الكتب التي تدرس فيها هي الكتب المبسطة، وكان يتولى تدريسها غالبا من يسمون بالأشياخ، ويبدو أن الأشياخ في العرف العام آنذاك كانوا متوسطي الثقافة بالنسبة للأساتذة، ولكن عددا ما الأساتذة تعاطوا أيضا تدريس مثل هذه المؤلفات وهذا ما يجعل الانفصال بين المرحلتين واضحا للباحث لان أولئك الأساتذة في نفس الوقت كانوا يجمعون إلى ذلك تدريس أمهات الكتب المفصلة في نفس الموضوع، ويبدو أنهم كانوا يقسمون أوقاتهم خلال النهار فيدرسون مثلا في الصباح لطلاب في مستوى الثانوي ثم يجلسون بعد الظهر لطلاب المرحلة العليا أو العكس⁽⁷¹⁾. ولم تكن هذه المرحلة محددة بوقت معين وفصل أو سنة دراسية معينة بل كانت تتوقف على استيعاب الطالب لعدد من الكتب منها كتب الحديث والمنطق والفقه، والنحو وهذا يرجع إلى ذكاء ومهارات، وقدرات الطالب على التحصيل والانتهاه منها⁽⁷²⁾، و لربما أن الطلبة ينفقون أكثر من ثلاث سنوات في قراءة موطأ مالك وغيره من كتب المذهب المالكي والسير، وعلم الحديث⁽⁷³⁾ ودراسة الكتب التي تحوي المواد بتوسع وتفصيلات ومناقشة المسائل الكبيرة، والمؤلفات التي عرفها المسلمون. وكان الطلاب يقبلون على العلم وينهلون من أمهات الكتب وينتقلون من مكان لآخر كلما سمعوا عن عالما أو فقيها ضليعا في مادة أو علم ما، قد وفد إلى تنبكت وخاصة العلماء الذين يقدون من المغرب، ومصر إلى تنبكت⁽⁷⁴⁾. وإذا تحدثنا عن أوقات الدراسة، كانت ساعات التدريس تستغرق النهار كله ولا تتوقف إلا في أوقات الصلاة وكان بعض الأساتذة يدرسون حتى في جزء من الليل وكان الطلبة يجتمعون حول الأستاذ الذي يشرح النصوص، ويناقشها معهم⁽⁷⁵⁾.

ولنا الحديث عن الأساتذة فاللبن، والتواضع هم من شيم أولئك الأساتذة اللامعين بتبكت في تلك الفترة وكان صبر الأستاذ على تفهيم طلبته يعتبره الناس من صفات الأساتذة الناجحين في مهنتهم⁽⁷⁶⁾ وملتزمين جدا لواجباتهم⁽⁷⁷⁾. وكانت الطريقة الشائعة في الدرس هي أن يبدأ الأستاذ بإملاء رأيه في المسائل على طلبته وبعدها يقرأ الطلاب درسهم من الكتاب المقرر بحضور الأستاذ ثم طلب كل مهم توضيح ما يشكل عليه وأثناء ذلك يقيد الطلبة التفاسير التي يعطيها الأستاذ كجواب على استفساراتهم⁽⁷⁸⁾.

1-3- الشهادات: أما عن الشهادات المتداولة فكانت تعطى الشهادة الدالة على نجاح الطالب الذي أتم المرحلة التعليمية التي تؤهله ليصبح بعدها متمكنا من مادته وأسانيدها وقد ناقشها معه معلمه، أو أستاذه⁽⁷⁹⁾. وكانت الشهادة تعطى للطالب صاحبها ويستلمها بنفسه يدا بيد. أما في حالات خاصة فيجوز أن يرسلها المعلم للطالب التابع له كما حدث عندما أرسل العالم الفقيه أحمد بابا التتكتي إجازة علمية عامة للعالم المغربي عبد الرحمن التتارتي الذي سبق أن تعرف عليه بمدينة مراكش، وكان التتارتي قبل حصوله على الإجازة قد ولى منصب القضاء وأشتهر بالإفتاء، والاجتهاد⁽⁸⁰⁾.

وكانت هناك شهادات خاصة تختص بالقرآن الكريم، والحديث أي خاصة بالثقافة الإسلامية البحتة لنشر كلمة الله تعالى⁽⁸¹⁾ وهناك شهادات عامة تشمل عدة مواد، أو فنون أو مهارات بجانب العلوم الدينية وكلتاها مطلوبة في مدينة تتبكت⁽⁸²⁾، وكانت هناك شهادات تعطى فردية بمعنى أن الطالب يستطيع الحصول على شهادة من الأستاذ في المواد التي يتقنها ذلك الأستاذ، يتعاطى تدريسها، لكنه يبقى طالبا في مواد أخرى وبناء على هذا فإن الشهادات كانت في شكل انطباع يسجله الأستاذ على مذكرات الطالب في مادة أو أكثر. والأستاذ لا يراعي أية شكيليات في منح الشهادة لطالب العلم على يديه ولكنه يراعي بدقة مدى الكفاءة التي يكون الطالب قد حصل عليها⁽⁸³⁾.

وكانت تلك الشهادات تعطى عادة في حفل كبير وأحيانا يسلم لهم عمائم دليلا على أنهم أصبحوا من العلماء⁽⁸⁴⁾ وقد يحض أهل الناجح، وأصدقاءه⁽⁸⁵⁾. وهذه الشهادة العلمية التي يتحصل عليها الطالب تؤهله لان يعمل بإلقاء الخطب، أو الإمامة، أو بأن يعمل المتخرج كمساعد للقاضي أو نائبا له أو كاتباً في مصلحة حكومية أو نسخ الكتب، أو تعليم القراءة وقد تنتهي بالعمل بالقضاء، وتولي مهامه⁽⁸⁶⁾.

1-4- المناهج: كانت مدارس الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا عامة، وفي تتبكت خاصة، أن تكون مدارس مغربية بحتة فكأننا في فاس أو أودغست أو مراكش، أو القيروان، نفس الأسلوب ونفس الحياة ونفس الوسائل، حتى طريقة الكتاب نفسها تأثرت بالطابع المغربي فالقلم العربي المستخدم هو القلم المغربي والمناهج والكتب المتداولة هي المناهج والكتب المالكية المغربية⁽⁸⁷⁾، وأعطى المؤرخ عبدالرحمن السعدي نماذج من

هذه الكتب كتب عياض وكتب سحنون وشروح ابن القاسم و خليل، وكتب المغيلي والونشريسي، وموطأ مالك والخزرجية وتحفة الحكام والعباد، وكذلك وجدت كتب أخرى درست في تنبكت منها شرح زروق ونظم أبي مفرقة والهاشمية ومقدمة التاجوري وصحيح البخاري وصحيح مسلم، ومدخل ابن الحاج⁽⁸⁸⁾.

وازدهرت بالمدينة العلوم التي شملت جميع أمور الحياة بجانب الدين منها القرآن الكريم والفقه والحديث والتفسير والنحو والعلوم الفلسفية والرياضيات والمنطق وعلم النفس والهندسة والفلك والأدب والفنون والطب بجانب العلوم الشرعية والتراجم والتاريخ والرحلات، وفن الكتابة⁽⁸⁹⁾، إلى درجة أن كتاب (تكملة الديباج) لأحمد بابا التنبكتي، يذكر أكثر من مائة شاعر وقاض ورياضي، وأديب... وغيرها، كلهم في مدينة تنبكت، أو سكنوها⁽⁹⁰⁾.

ومن المؤكد أن هذه المناهج كانت تشمل صفوة ما بلغته الحضارة الإسلامية في ميدان المعارف، غير أنه لا يبدو، أن تلك المناهج قد عصمت الناس من بعض الانحراف⁽⁹¹⁾.

1-5- دور المكتبات: انتشرت المكتبات التي اقتناها العلماء، والأثرياء في تنبكت، وكانت مفتوحة لاطلاع الطلاب والراغبين في العلم واشتهرت تنبكت بعدد كبير من المكتبات المملوكة لعلمائها وعرف عن هؤلاء أنهم كانوا لا يبخلون بكتبهم على الراغبين في الاستعارة مهما كانت الكتب قيمة. وكانت تدور بالمدينة حركة نسخ نشطة ليحصل عن طريقها بعض الناس على نسخ من الكتب التي يريدونها⁽⁹²⁾، وتمكين الراغبين في العلم من الحصول على حاجتهم من الكتب حيث يقوم متطوعون خاصة ممن يرغبون في مزاوله هذا العمل، وهم عادة من طلبة جامعة سنكري بالمدينة بإعادة نسخ ما يحصلون عليه من الكتب بالخط والخط العربي، ثم يبيعون تلك النسخ لمن يريد وتبقى النسخة الأصلية مع أولئك الناسخين⁽⁹³⁾ وكان الملك أسكيا داوود ملك إمبراطورية صنغي 'سنغاي' يعين أشخاصا من الكتاب الذين يقومون بنسخ المخطوطات والكتب المطبوعة ليقوم بتوزيعها على العلماء والطلبة مجانا. وكان هو أول من أنشأ مكتبة عامة للمطالعة في هذا الجزء من العالم⁽⁹⁴⁾.

وكانت بالمدينة مكتبة ضخمة يلتقي فيها العلماء أثناء إقامتهم، أو عبورهم من مختلف مناطق السودان الغربي باتجاه الحج لبيت الله الحرام، حيث كانت قوافل الحجيج تتجمع في المدينة قبل أن تأخذ طريقها عبر الصحراء الكبرى، أما باتجاه غدامس، وطرابلس⁽⁹⁵⁾.

ونتيجة لازدهار الحياة العلمية، أقبل الناس في شغف على اقتناء المكتبات الخاصة التي تعج بالكتب العربية، وكثرت المكتبات الخاصة⁽⁹⁶⁾، ولم تكن هذه المكتبات حكرًا على أسماء معينة من الأسر بل أن كل أسرة كبيرة في تنبكت تمتلك مكتبة عامرة بأهمات الكتب، والكتب القيمة التي يحفظونها في غرف مغلقة في

منازلهم، ومن تلك الأسر، أسرة أبو العرف التي تملك الكثير من الكتب وكذلك من المكتبات الكبيرة المشهورة في تنبكت مكتبة محمد محمود بن الشيخ⁽⁹⁷⁾، وهناك مكتبة الكوتي الأندلسية⁽⁹⁸⁾، وهي أيضا مكتبة عائلية يعود تاريخها إلى عام 872هـ/1468م⁽⁹⁹⁾.

واعتنت تنبكت بالكتب والعلم حذا حذوها أهل المدن الأخرى وفي الصحراء والقرى التي امتلأت بالمساجد والمدارس والمكتبات والتلاميذ والفقهاء، والشيوخ مسيرة تلك النهضة العلمية الثقافية في تنبكت فقد روى أن أحد التجار اسمه سيدي إبراهيم البصير ذهب إلى السودان الغربي فوجد في طريقه قرية يطلق عليها شماعة عثر بها على كتب كبيرة قيمة، ووجدت مكتبات في الصحراء منها المكتبة السنوية ومكتبة الشيخ ماء العينين ومخطوطات صحراوية سودانية، وفاسية⁽¹⁰⁰⁾. وهناك المكتبة المتنقلة، إن صح التعبير، مكتبة ممأ حيدرة للمخطوطات التي أنشئت في القرن 10هـ/16م كانت تنتقل في البوادي وفي القرى إلى أن وصلت أخيرا إلى مدينة تنبكت وثبتت فيها⁽¹⁰¹⁾.

يقول المؤرخ الفرنسي فليكس ديبوا، أن مكتبات تنبكت شملت تقريبا جميع الكتب إن لم يكن كلها فالتبكتيون مهووسين بجمع الكتب، والمؤلفات النادرة، فهم من عشاق الكتب وفد وقف ديبوا على إنتاجات ومؤلفات أدبية من إسبانيا والمغرب إلى جانب أعمال من سوريا، وبغداد⁽¹⁰²⁾.

2- العلماء المؤثرون في الحركة الفكرية:

شهدت مدينة تنبكت خلال القرن 10هـ/16م نشاطا فيما يتعلق بحركة التدريس وقد ضمت مدارسها العديد من الطلاب، والأساتذة، كما رأت لأول مرة في تاريخ السودان الغربي، اتساع التعليم الجامعي وتوارد عليها في تلك الأثناء عدد من الأساتذة من بلدان المغرب ساهموا في تنشيط التعليم وتعميقه⁽¹⁰³⁾ وذلك باستقدام العلماء، وتشجيعهم على بدل العلم⁽¹⁰⁴⁾. فالتعليم في أول أمره محصور بالأساتذة العرب القادمين من شمال إفريقيا وتشجيع الطلاب السودانيين على الرحلة إلى شمال إفريقيا⁽¹⁰⁵⁾ ومصر، والحجاز لطلب العلم والوقوف على مراكز العلم وما ألفه العلماء في تلك المراكز⁽¹⁰⁶⁾، ومن هنا تكونت طبقة مثقفة من الأفارقة تولت مهمة التعليم، بعد أن تخرجت من المدارس العربية في المغرب، ومصر وأغلبية المعلمين كانوا من رجال الدين أتقنوا اللغة العربية ومارسوا التعليم بها لأنها كانت لغة الدين، والثقافة والتجارة⁽¹⁰⁷⁾.

2-1 من أبرز العلماء الذين استقدموا من المغرب ومصر، والحجاز إلى مدينة تنبكت: لم يكن حرص ملوك، وسلطين السودان الغربي عامة وتنبكت خاصة، على نشر العلم وإرساء قواعد نهضة ثقافية في بلادهم مقصورا على إيفاد طلاب العلم إلى المراكز الإسلامية في العالم الإسلامي في ذلك الوقت بل اهتموا اهتماما شديدا باستقدام كثير من العلماء والفقهاء من مواطن العلم في الحجاز ومصر والمغرب⁽¹⁰⁸⁾، ومنهم:

(1) - سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي: -رحمهم الله- ينسب - رحمه الله- إلى قبيلة مغيلة التي تقطن نواحي تلمسان ولا يعلم تاريخ ولادته بالضبط غير أن وفاته في سنة 909هـ/1503م، وقد كان من المثقفين وأولى الفكر في عصره وقد انتقل بعد إتمام دراسته بالشمال إلى الصحراء فسكن توات وبها توفي ولا يعرف سبب انتقاله إلى الصحراء غير أن حملته على اليهود القاطنين بها في زمانه ورسائله العديدة في موضوعهم تحمل على الظن بأنه وجد ضيقا في العيش بالشمال حيث يسيطر اليهود في أهم المدن على مصادر التجارة والمال وتوغلوا في شراء ذمم بعض المسؤولين فأصبحوا صنائع لهم، ولما انتقل إلى الجنوب وجد اليهود يشاركون بنشاط في حركة القوافل التجارية مع السودان، ويتصرفون تصرفات أكثر حرية مما في الشمال فدعا لمحاربتهم⁽¹⁰⁹⁾، ثم ارتحل إلى بلاد التكرور فوصل إلى بلاد كاغو، واجتمع بسلطانها أسكيا الحاج محمد وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وألف تأليفا أجابه فيه عن مسائل دينية⁽¹¹⁰⁾، يلاحظ هنا أن طرح الأسئلة من طرف السلطان على عالم مثل المغيلي... يعطينا صورة عن نظرة الأسقيا الكبير للعلماء في وقته⁽¹¹¹⁾، ثم ارتحل المغيلي إلى توات فأدركته المنية بها سنة 909هـ/1503م أخذ عنه الكثير من العلماء⁽¹¹²⁾.

(2) - محمد بن عيسى بن علي التلمساني⁽¹¹³⁾.

(3) - صالح بن محمد أندي عمر: - رحمه الله-⁽¹¹⁴⁾.

(4) - أبو القاسم التواتي: - رحمه الله - (سبق ذكره في أئمة المسجد الكبير).

(5) - عبدالرحمن بن علي بن أحمد القصري: - رحمه الله- توفي سنة 959هـ/1549م⁽¹¹⁵⁾.

(7) - الشيخ مخلوف بن علي صالح البلبالي: -رحمهم الله- كان رحمه الله يشتغل بالعلم... ودخل تنبكت ليدرس هناك وقرأ بها ثم رجع إلى المغرب فدرس بمراكش ، وتوفي بعد 940هـ/1533م⁽¹¹⁶⁾.

2- 2- من أبرز العلماء الذين رحلوا طلبا للعلم: من العلماء السودانيين الذين رحلوا في طلب العلم إلى مصر وفاس وتلمسان والقيروان، والحرمين... وغيرها من المراكز الإسلامية في المغرب، والمشرق، ثم عادوا إلى بلادهم بعد أن نهلوا من العلوم والمعارف المزدهرة في تلك البلاد⁽¹¹⁷⁾، وأصبحوا علماء عظام، ومنهم:

(1) - أبو العباس أحمد بن محمد أقيت جد الشيخ أحمد بابا: - رحمه الله- توفي عام 942هـ/1535م⁽¹¹⁹⁾.

(2) - محمود بن عمر أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي التنبكتي: - رحمه الله- قاضي تنبكت توفي - رحمه الله- سنة 955هـ/1548م، وكان مولده سنة 868هـ/1463م⁽¹²⁰⁾.

(3) - محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي: - رحمه الله-... كان فقيها عالما علامة محققا،... قرأ ببلده على يد الحاج أحمد بن عمر...، ثم رجع إلى السودان فنزل بلدة كشن⁽¹²¹⁾ (كاتسينا)، أستقر بشمال نيجيريا

وحظي بالاستقبال الحار والاحترام وعين قاضيا في الفترة ما بين عامي 1529م/1530م⁽¹²²⁾ وتوفي بها في حدود 936هـ/1589م، عن عمر 60 سنة⁽¹²³⁾.

(4) - أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت (932 - 991) هـ، (1526 - 1583) م تنبكتي المولد، نزل المدينة المشرفة... كان ورعا زاهدا تقيا...، كثير الصدقة، والعطاء... حج ، ثم آب لبلاده لأجل أولاده فأخذهم ورجع، وحج وسكن المدينة حتى مات 991هـ/1583م درس أحمد بابا التنبكتي علم النحو⁽¹²⁴⁾.

(5) - أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى (929 - 991) هـ ، (1523 - 1583) م، كان ذكيا داركا متفنا محدثا... لا يرد له شفاعة، يغلظ على الملوك فمن دونهم، و ينقادون له أعظم الانقياد، ويزورونه في داره ولما مرض في كاغ في بعض أسفاره كان السلطان الأعظم أسكيا داود، يأتي إليه بالليل فيسهر عنده حتى برء، ويسهر عنده تعظيما لقدره، وكان مشهور القدر والجلالة... رحل للشرق سنة 956هـ/1549م، فحج وزار، وأجتمع بجماعة كالناصر اللفاني والشريف يوسف تلميذ السيوطي،... توفي - رحمه الله - 991هـ/1583م⁽¹²⁵⁾.

(6) - محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي - رحمه الله، سبق ذكره في أئمة مسجد سيدي يحيى.

2-3- مؤرخو مدينة تنبكت:

(1) - المؤرخ محمود كعت: - رحمه الله - هو القاضي محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت⁽¹²⁶⁾، هو أديب سونينكي من تنبكت⁽¹²⁷⁾، وكان فقيها من علماء تنبكت صاحب أسكيا الحاج محمد الكبير وقد شهد 15 عاما من حكم الحاج محمد الكبير، وكان مولده عام 1460م. وهو صاحب كتاب الفتاش الذي بحث عنه الرحالة الفرنسي فيلكس ديبوا، إلا انه وجد جزءا منه. هذا الكتاب يلقي الضوء على تاريخ مملكة مالي، وتنبكت وسنغاي وتنتهي أحداث الكتاب في عام 950هـ/1554م⁽¹²⁸⁾، وهناك من يقول أن أحداث الكتاب انتهت عام 1008هـ/1599م، أي بعد وفاة المؤلف بست (6) سنوات (1002هـ/1593م) ويبدو أن احد أحفاده هو الذي أضاف السنوات الست التالية لوفاته⁽¹²⁹⁾.

وأنا أرجح الرأي الثاني، لأن محمود كعت شهد الغزو المغربي عام 999هـ/1591م عاش وأرخ لهذه الحملة وبعدها.

(2) - المؤرخ أحمد بابا التنبكتي: أحمد بابا التنبكتي بن الحاج أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى بن كدالة بن بكي بن نيق بن لف بن يحيى بن تشت بن تنفرين جبراي بن اكبر بن أنص بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي الماسي - رحمه الله -، ولد ليلة الأحد 21 ذي الحجة عام

963هـ⁽¹³⁰⁾ - الموافق 26 أكتوبر 1556م، وهو معروف باسم أحمد بابا ويضيف المؤرخون لاسمه لفظ الصنهاجي أوالمسوفي أوالسوداني أوالماسيني أو التنبكتي، أوالتكروري، وقد تستخدم ثلاث ألفاظ لاسمه الصنهاجي الماسي أوالتنبكتي أوالتكروري، وقد تستخدم ثلاث ألفاظ لاسمه الصنهاجي الماسي والمسوفي⁽¹³¹⁾. اجتهد في بداية أمره في خدمة العلم حتى فاق جميع معاصريه ولا يناظره في العلم إلا أشياخه وشهدوا له بالعلم، واشتهر في المغرب... وكان اسم محمد- صلى الله عليه وسلم- مكتوبا في عضده الأيمن خلقة بخط أبيض،... قرأ على عمه أبي بكر التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية والبيان، وغيرها على شيخه العلامة محمد بغيغ، ولأزمه أكثر من عشرين سنة، وأخذ الحديث على والده سماعا، والمنطق...⁽¹³²⁾. قبض عليه الباشا محمود بن زرقون، بعد الغزو المغربي على السودان الغربي، وكان عمره آنذاك 36 سنة، وأرسل إلى منفاه في المغرب هو وأسرته وبعض العلماء في 1 رمضان 1002هـ/20 جوان 1593م، واستقر مع عياله في حكم الثقافة، وأفرج عليه في 21 رمضان 1004هـ/ 19 ماي 1595م بشرط الإقامة في مراكش⁽¹³³⁾.

أما عن نشاطه في المغرب، فبعد أن أفرج عنه قعد ليدرس في جامع الشرفاء بمراكش، درس مختصر خليل قراءة بحث وتدقيق، ونقل وتوجيه، وكذا تسهيل ابن مالك وألفية الحديث للعراقي، وختمها عشرة مرات، وتحفة الحكام لابن عاصم، وجمع الجوامع للسبكي...، والصحيحين...والشفا والموطأ والمعجزات الكبرى للسيوطي⁽¹³⁴⁾ وتعلم الخطابة والقانون، وعلم اللاهوت⁽¹³⁵⁾. وقرأ على يديه قاضي الجماعة بفاس العلامة أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني... وكذا قاضي مكناسة⁽¹³⁶⁾.

عاد أحمد بابا إلى تنبكت بعد أن سمح له ابن منصور الذهبي مولاي زيدان بن المنصور الذهبي بالرحيل عام 1016هـ/1607م، ووصل إلى تنبكت في ذي الحجة 1016هـ الموافق لـ 17 مارس 1607م ومكث هناك يدرس ويكتب الفتاوى، وتوفي- رحمه الله- في 6 شعبان 1036هـ الموافق لـ 22 أفريل 1627م⁽¹³⁷⁾ وله أربعون تأليفا⁽¹³⁸⁾.

(3)- المؤرخ عبد الرحمن السعدي:- رحمه الله- عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي"السعدي"، رحمه الله- ولد ليلة الأربعاء ليلة عيد الفطر عام 1004هـ/1596م، تولى إمامة مسجد سنكري عام 1036هـ/1627م⁽¹³⁹⁾، يقول الباحث أحمد فؤاد بلبع يتضح من اسم هذا المؤرخ أنه ليس في أجداده إلا أسماء عربية، ومع ذلك لا يحق لنا أن نستخلص بطريقة قاطعة أنه كان من سلالة عربية خالصة، ففي ذلك العصر جرت عادة المسلمين الذين ترجع أصولهم إلى البربر أو إلى غيرها على أن ينسبوا أنفسهم إلى أصل عربي، أو شرف.

تلقى العلم في شبابه على يد الفقيه أحمد بابا، كما تلقى العلم على كثيرين غيره من علماء المنطقة نذكر منهم القاضي محمود بن أبي بكر انتقل السعدي من تنبكت إلى جني للعمل بها حيث عمل كمحرر للعقود في جني، واستطاع في عام 1036هـ/1627م الحصول على منصب إمامة جامع سنكري وفي أواخر عام 1039هـ/1670م، وسع معارفه عن العالم برحلته قام بها إلى مملكة ماسينا، وبدعوة من قاضي هذه الأخيرة واستقبل بحفاوة من السلطان نفسه ومن أعيان المملكة مما شجعه على معاودة زيارة المملكة بعد ثلاث سنوات وأدى في هذه المناسبة خدمة للسلطان بعقد الصلح بينه وبين تابع له كان بينهما ثأر قديم وقدم السعدي بهذا النوع من الوساطة مرات كثيرة بين أمراء المنطقة مما أكسبه خبرات واسعة وعلاقات وطيدة مع عدد من حكام المنطقة، بل إنه كان ضالعا في الشؤون السياسية لبلاده، وشغل كاتبا، كما أنه يقوم بالأعمال العامة، والسفارة والوساطة، وربما طرأت في إحدى هذه المناسبات فكرة كتابة تاريخ لبلاده، يتيح له ربط الأحداث الماضية، والأحداث التي تجري أمام عينيه، ولقد شرع بالفعل في كتابة تاريخ السودان وظل السعدي يواصل هذا العمل الهام إلى أن توقف به عند أحداث 5 ذي الحجة 1063هـ، الموافق لـ 8 نوفمبر 1652م، ولكنه عاد بعد ثلاث سنوات فأضاف أحداثا أخرى انتهت بتاريخ 16 جمادى الأولى 1065هـ الموافق لـ 12 مارس 1655م وفي ذلك التاريخ يكون السعدي قد قارب الواحد والستين (61) سنة بالتقويم الهجري (59 سنة ميلادية)⁽¹⁴⁰⁾، وهذا ما ذهب إليه المؤرخ البرتلي، صاحب كتاب فتح الشكور، في معرفة أعيان علماء التكرور، أن السعدي كان حيا عام 1065هـ/1655م⁽¹⁴¹⁾.

تمتع العلماء في تنبكت بمكانة مرموقة في المجتمع السوداني، فقد درج ملوك وسلطين سنغاي على إصدار مراسيم تجعل شخص العالم وولده، وماله حراما لا يمس بسوء طيلة حياته وكان لهذا الجو من الطمأنينة الذي وفره هؤلاء الحكام لعلماء تنبكت أكبر الأثر في تقدم العلوم، وازدهار الثقافة الإسلامية في جامعة تنبكت⁽¹⁴²⁾.

وخير معبر عن ذلك ما كتبه المؤرخ محمود كعت: "في تلك الزمان لم يكن لتنبكت مثيل بين مدن السودان بمثابة مؤسساتها، وحريتها السياسية، ونقاء تقاليدها، والاطمئنان على النفس، والمال والرحمة، والشفقة على الفقراء وعابري السبيل، وتلطفا بطلبة العلم وإعانتهم"⁽¹⁴³⁾.

وتحدث المؤرخ عبدالرحمن السعدي، عن العلماء ووصفهم بالأخيار والصالحين الذين وفدوا على تنبكت، وسكنوها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي من مصر والحجاز و فاس والقيروان، وبلاد المغرب ويبين أن هؤلاء الأخيار من العلماء الذين سكنوا تنبكت اتخذوا مساجدها مدارس يحفظون الناس فيها القرآن الكريم، ويفقهونهم في دينهم، وينشرون الثقافة الإسلامية، وذكر بعض فضائلهم ومآثرهم⁽¹⁴⁴⁾. وأعطى الحسن الوزان

صورة علمية رائعة عن تنبكت أثناء مروره بها في عهد أسكيا الحاج محمد الكبير وبين ما فيها من العلماء والقضاة والأئمة، والأدباء وما يحظون به من الإكرام والإجلال من قبل ملوك سنغاي⁽¹⁴⁵⁾.

3- القضاء والقضاة:

حينما يتحدث السعدي وكعت وهما من المصادر الأساسية عن تاريخ سنغاي على أيام الأسقيين يخیل للباحث أن سلطة القاضي كانت أسمى من سلطة الأمير، غير أن هذا لا يدل إلا على المكانة السامية التي كان يتمتع بها القاضي في مجتمع سنغاي في ذلك الوقت، أما أحمد بابا الذي كان قد عاصر حكم الأسقيين في سنغاي، فيسرد لنا قوائم طويلة بأسماء القضاة، الذين تولوا منصب القضاء في تنبكت، ويصفهم بالاستقامة الواسعة لدى الأمراء وبين أفراد الشعب⁽¹⁴⁶⁾. كان منصب القضاء منصبا صعبا، يرفضه أهل التقوى والورع، خوفا من إصدار حكم جائر عن غير قصد، فينالهم العقاب الرباني، ويعتبرون تولي القضاء كارثة عليهم، وقد يجبر السلطان الفقيه على تولي أمر القضاء⁽¹⁴⁶⁾ وهذا ما حدث للفقيه محمد بن أبي بكر بغیغ على تولي مهمة القضاء بأمر من أسكيا إسحاق عند زيارة هذا الأخير لمدينة جني فرفض رفضا قاطعا لهذا المنصب، وكذلك أهل بيته له، قالت: لو اخترت الموت عليه لكان أحسن منه، ولو قلت أقتلوني فلا أدخل، فقال: ما قلت ذلك، فأدبرت باكية لأيام، إلا أن القاضي محمود أخذ على حين غرة، أخذه وأمسكوا به، وجعلوا قمصان أسكيا في عنقه⁽¹⁴⁷⁾.

وكان القضاء في مملكة سنغاي على أيام الأسقيين يعينهم الملك فالأسقيا محمد الأول حيث تولي السلطة نصب في تنبكت قاضيا⁽¹⁴⁸⁾ وإلى جانب القاضي الذي يحكم بالشرعية الإسلامية قاض مساعد يفصل في قضايا الأجانب بحكم أن المدينة مدينة تجارية يقصدها التجار من كل جهة⁽¹⁴⁹⁾.

3 - 1- شروط تولي القضاء: يشترط في القاضي أن يكون عالما فقيها متحليا بالنزاهة، والورع، ولم يشترط العلم في بادئ الأمر فكان القضاء من العرب ولما كثر المتقنون الذين تعلموا في فاس والقاهرة عمل قسم منهم في القضاء وفي الخطابة، وإمامة المسجد، ولم يكن ليستلم منصب القضاء إن لم يكن أهلا له خوفا من غضب الله⁽¹⁵⁰⁾.

حدث وأن تعطل منصب القضاء في مدينة تنبكت، فبعد وفاة القاضي العاقب في 17 شعبان 991هـ/1589م، بقي منصب القضاء شاغرا لمدة سنة ونصف ما تولاه أحد لأن أسكيا محمد الثالث (1582-1586م)، أرسل في ذلك للعلامة الفقيه أبي حفص عمر بن الفقيه محمد ما قبل المنصب مرتين وثلاث، وكان الفقيه محمد بغیغ الونكري، هو الذي يفصل في القضايا ولما طال الحال بعث الشيخ المبارك الفقيه صالح تكن لأسكيا سرا أن يكتب له إذا لم يقبلها يوليها لجاهل، فكل حكم إلا يسأله الله تعالى عنه

وكان أمامه غدا بين يديه، فلما قرأ أبو حفص عمر كتاب أسكيا، بكى وقبل فتولاها في سنة 992هـ/1584م، ومكث فيها تسع سنين كاملة⁽¹⁵¹⁾.

وهناك إمكانية الجمع بين منصبي الإمامة، والقضاء فمثلا القاضي محمود بن عمر حين أراد الحج في عام 913هـ/1507م، استخلف في الإمامة خاله الفقيه المختار النحوي وفي القضاء القاضي عبد الرحمن بن أبي بكر بأمر من الأمير أسكيا الحاج محمد⁽¹⁵²⁾.

3-2- مهام القضاة: من مهام القاضي الفصل في الأمور التي تتصل بحياة الناس اليومية فيحكم في الخلافات الشخصية من طلاق وزواج وديون وقروض وتجارة، وعقارات وما شاكلها⁽¹⁵³⁾.

وقد أورد صاحب مخطوط جامع فروع العلم، عن مهام القاضي بقوله: "وأما القاضي فهو نائب الإمام في تنفيذ الأحكام الشرعية، فإن كانت الأرض سائبة كما في تنبكت وما حولها، أوفي حكم السائبة ... فعلى القاضي أن يفصل في هذه المسائل..."⁽¹⁵⁴⁾. توضح لنا هذه المخطوطة أن من مهام القاضي لا تقتصر على الأحكام الشرعية فقط، بل لديه مهام أخرى منوطة به، وهي مراقبة التسبب في الزراعة ونحوها⁽¹⁵⁵⁾.

ومن أهم وأكبر وظائف القاضي كانت الإشراف على سير التعليم في البلاد، فيها، وهو الذي يعين المدرسين في منطقته ويحصى الطلبة ويساعد المحتاجين منهم، وكان كثيرا ما يتولى مهمة بناء المساجد للدراسة، والصلاة حسبما يراه من حاجة المنطقة إلى ذلك، أو إنه يتولى توسيع مسجد من المساجد وترميمه⁽¹⁵⁶⁾، (كما رأينا في موضوع المساجد أن الفقيه القاضي العاقب بن القاضي محمود رمم مسجدا سنكري و الجامع...الخ). أما شهرة القاضي فتتمو بحسب نزاهته⁽¹⁵⁷⁾.

3-3- رواتب القضاة: للقضاة رواتب، الرحالة حسن الوزان، أورد أن رواتب القضاة كان يدفعها الملك من الخزينة وهي رواتب محترمة وقد تدفع من أموال الأوقاف. وهذا ما أكده صاحب مخطوط جامع العلم بقوله: "يقدم للقاضي رزقه من الأوقاف المطلقة... فإن لم توجد فمن أوقاف المساجد، وأما إعطاؤه من غيره..."⁽¹⁵⁸⁾، تبين هذه المخطوطة، أن رواتب القضاة تصرف من الأوقاف المطلقة وإن لم تكن هناك أموال فمن أوقاف المساجد أو من أي أموال.

3-4- أنواع العقاب: العقاب يتفاوت بحسب الجرم الذي يقترفه الشخص، فالقاضي له تطبيق عقوبة السجن⁽¹⁵⁹⁾ أو الضرب بالعصا، أو الغرامة⁽¹⁶⁰⁾. وعقاب الرجل الذي يمشي بالنميمة بين الناس يقبض عليه، وينقش بالحرمة والسواد والبياض ويركبونه حمارا، ويطوفون به في البلد و ينادون هذا جزء من يمشي بالنميمة و كان هذا في عهد الأسكيا محمد الثاني (1531/1537م)⁽¹⁶¹⁾. أما عقوبة القاتل والزاني فهي الإعدام،

والإعدام يكون بالخنق حتى الموت أو قطع الرأس⁽¹⁶²⁾. وكان خطيب المسجد له مكانة لا تقل عن القاضي، له الحق في الإفراج عن السجناء من قيدهم وسجنهم⁽¹⁶³⁾.

3-5 - أبرز القضاة: ومن ابرز قضاة المدينة في القرن 10هـ/16م نذكر:

(1)- القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت:- رحمه الله- (سبق ذكره ضمن أبرز العلماء الذين رحلوا طلبا للعلم).

(2)- القاضي محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت :- رحمه الله- ولد القاضي محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي قاضي تنبكت في 909هـ/1503م- رحمه الله- تولى القضاء بعد أبيه... له تعليق على رجزالمغيلي في المنطق، أخذ عنه أحمد بابا التنبكتي البيان والمنطق، توفي رحمه الله- في عام 973هـ/1565م⁽¹⁶⁴⁾.

(3)- القاضي العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت:- رحمه الله- القاضي العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى قاضي تنبكت، كان-رحمه الله- مسددا في أحكامه صلبا في الحق ثباتا فيه لا تأخذه في الله لومة لائم،... جسورا على السلطان فمن دونه، وقع له معهم وقائع وكانوا يخضعون له، ويطاوعونه في كل ما أراد إذا رأى ما يكره عزل نفسه عن القضاء وسد بابيه، ثم يلاطفونه حتى يرجع، ولد سنة 913هـ/1507م، وتوفي- رحمه الله- في عام 991هـ/1583م⁽¹⁶⁵⁾.

(4)- القاضي عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت:- رحمه الله- أخذ عن والده-رحمهما الله- تولى القضاء في تنبكت في عام 993هـ/1585م بعد الإبائية، حتى كتب له أسكيا محمد الثالث(1582-1586)م، أنه إن لم يقبلها يوليها إلى جاهل، وكل ما حكم به الجاهل لا أسأل عنه غدا بين يدي الله تعالى إلا هو، توفي- رحمه الله- في عام 1003هـ/1595م⁽¹⁶⁶⁾.

خاتمة

وفي الختام بعد هذه الدراسة المتواضعة خرجت بمجموعة من الاستنتاجات والملاحظات:

* مدينة تنبكت بها عدة مساجد بنيت من طرف شخصيات محبة ومنافسة لفعل الخير، وكانت تقام فيها الصلوات و الدروس. ومسجد سنكوري أصبح كجامعة تستقطب الكثير من الطلبة القادمين من المناطق المجاورة وحتى من دول الشمال الإفريقي.

* بينت الدراسة أن بالمدينة عددا من العلماء الذين جاؤوا من دول الشمال الإفريقي هؤلاء منهم الأئمة و منهم المدرسون .

* مدينة تنبكت بها عدد من المدارس هذه المدارس ارتبطت بالدين الإسلامي، فإلى جانب كل مسجد هناك دور لتعليم الأطفال، والتعليم في بداية أمره كان بيد العلماء القادمين من مختلف الدول العربية.

* أثبتت الدراسة أن التعليم يتم في مرحلتين متميزتين، المرحلة الابتدائية التي يشترط فيها السن، حيث كان الأطفال لا يتجاوزن مرحلة الصبا. ومرحلتا التعليم الثانوي والعال والتي لا يشترط فيها عامل السن.

* أفرزت الدراسة أن الطلبة الذين ينهون دراستهم يحصلون على شهادات أو إجازات تأهلهم للحصول على وظائف، وهناك شهادات عامة وأخرى خاصة. والمناهج المدرسة هي نفسها التي كانت تدرس في الجامعات العربية في الشمال الإفريقي.

* انتشار عدد من المكتبات منها المكتبات العامة التي أقامها بعض حكامها، ومكتبات خاصة والتي أقامتها بعض الأسر التنبكتية المحبة للعلم.

* أثبتت الدراسة أن حكام مدينة تنبكت شجعوا أبناء مدينتهم على الرحلة في طلب العلم من مختلف الجامعات العربية الإسلامية. وعند عودتهم تولوا التدريس في مختلف مدارس المدينة ومساجدها .

* بينت الدراسة وجود عدد من المؤرخين الذين أرخوا وكتبوا تاريخ المدينة، كتبوا كتبهم بنفس الأسلوب العربي في الكتابة.

* كان منصب القضاء من أصعب المناصب الذي تهرب منه العلماء خوفا من الخطأ ومنه العقاب الرباني و، يشترط في القاضي أن يكون عالما فقيها متحليين بالنزاهة، والورع.

* القضاة لهم مهام منها الحكم في المعاملات اليومية بين الناس مثله البيع والشراء والزواج والطلاق ومراقبة الأوزان والمكاييل في الأسواق، ومعاقبة الجاني. وحل النزاعات التي تحدث بين التجار وأكبر وأعظم مهام يقوم بها القضاة هي الإشراف على التعليم في المدينة، ومساعد الطلبة المحتاجين.

عرفت المدينة ازدهارا وتطورا كبيرين في الحياة الثقافية، إذ أصبحت مركزا ثقافيا كبيرا في جنوب الصحراء هذا المركز كان مزارا للعديد من العلماء من الشمال الإفريقي وحتى من المناطق القريبة منه في السودان الغربي.



الهوامش

- (1) علي محمد عبد اللطيف، تمبكتو أسطورة التاريخ، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية بنغازي، 2001. ص 6.
- (2) Dubois Felix, **Tombouctou la Mystérieuse**, la Brnieie Elammarion, paris , 1897. p.247.
- (3). برنامج تحت المجهر، "تمبكتو جوهرة الصحراء"، بتاريخ 2005/11/11م، من إعداد عياشي الدراجي.
- (4) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص 6.
- (5) نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ص 159.
- (6) مولاي احمد الارواني، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية تحقيق الهادي المبروك الدالي، الطبعة الأولى، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي 2001. ص 71.
- (7) Barth, (H), **Travels and discoveries in north and central africa**, vol3, London ,1859, p.323.
- (8) العاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي قاضي تنبكت. ولد عام 913هـ / 1507م، وتوفي في 991هـ/1583م. عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن ناصر السعدي، تاريخ السودان، تحقيق هوداس و بنوة، باريس 1964، ص 40 وما بعدها.
- (9) نفسه، ص 56 وما بعدها.
- (10) Delafosse,(M), **Hout Sénégal Niger**, tome 2, paris, 1972.p.270.
- (11) عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 110
- (12) Barth,(H), op.cit.pp.323- 325.
- (13) عثمان برايماباري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، دون تاريخ، ص 24.
- (14) Caillié,(R), **Journal d'un voyage a Tombouctou et à jenné dans l'Afrique Centrles**, tome2, édition anthraop-pos, paris,.pp.333-338.
- (15) John,(M), **Sailing toTimbuctoo**,william kimber, London,1973.P177.
- (16) أبو بكر إسماعيل محمد ميقا، تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي من القرن 4هـ حتى مطلع القرن 13هـ، مجلة الدارة الربيع الأول، 1993، العدد الثاني، ص 223.
- (17) Cornevin ,(R et M), **Histoire de L'Afrique**, tome 1, paris,1962.p.164.
- (18) أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة علماء التكرور، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد حجي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1981، ص 96 وما بعدها. ينظر أيضا: عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 58.
- (19) عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 58 .
- (20) أحمد الفتوري، "الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان، دراسة أولية وبعض الملاحظات"، مجلة البحوث التاريخية، العدد 2، جويلية 1981، ص 249.
- (21) ابوبكر إسماعيل محمد ميقا، مجلة الدارة، المرجع السابق، ص 233.
- (22) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 189 وما بعدها.
- (23) نفسه، ص 154 وما بعدها . ينظر أيضا: عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 60 وما بعدها.
- (24) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 190 وما بعدها.
- (25) نفسه ، ص 108.
- (26) عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 62.
- (27) جاك ووديس، جذور الثورة الإفريقية، ت وتعليق، أحمد فؤاد بلبع، راجع الترجمة، عبد الملك عودة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971، ص 563.
- (28) عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 62 . ينظر أيضا: Delafosse,(M), op.cit.p.271.
- (29) سينيكي مودي سيسوكو، - تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع، إفريقيا من القرن 12م إلى القرن 16م، المشرف على المجلد، ج. ت. نياني، "الصنغي من القرن 12م إلى القرن 16م"، اليونسكو، 1988، ص 219.
- (30) John,(M), op.cit.p.177.
- (31) Barth,(H), op.cit.p.324.
- (32) محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس، تحقيق هوداس و دولافوس، باريس، 1964، ص 121.
- (33) عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 111.
- (34) Caillie,(R), op.cit.p.339.
- (35) Oskar,(L), **Timbuctou Voyage au Maroc au Sahara et au Soudan**, paris,1887.p115.
- (36) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 107.
- (37) عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 63 .

(38) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 39 .

(39) Barth, (H), op. cit. p. 324.

(40) Caillie, (R), op. cit. p. 340.

(41) مولاي أحمد بابير الأرواني، المصدر السابق، ص 72.

(42) Delafosse, (M), op. cit. p. 271.

(43) سيدي يحيى بن عبد الرحيم التادلسي من أبناء القرن 9هـ/15م، تتلمذ على الشيخ سيدي أحمد الكابري وفاق لقرنه علما وأدبا وبرع في الفقه والنحو. مولاي أحمد بابير الأرواني، المصدر السابق، ص 15.

(44) نفسه، ص 72.

(45) جاك ووديس، المرجع السابق، ص 563.

(46) مولاي أحمد بابير الأرواني، المصدر السابق، ص 129 وما بعدها.

(47) محمود كعت، المصدر السابق، ص 122.

(48) مولاي أحمد بابير الأرواني، المصدر السابق، ص 74.

(49) محمود بن محمد الزغوي التبتكي مولدا، ومنشأ - رحمه الله تعالى - اخذ عن الفقيه احمد بن محمود بن سعيد، وعن عبدالله بن الفقيه محمود بن عمر، ومهر في النحو... ثم غلب عليه السعال فلزم بيته سنتين، وتخلف عن الجماعة والجمعة، وكان إماما في جامع التواتي، توفي - رحمه الله - في عام 1011هـ/1602م، عن عمر 64 سنة. البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 110.

(50) مولاي أحمد بابير الأرواني، المصدر السابق، ص 74.

(51) Caillie, (R), op. cit. p. 340

(52) Barth, (H), op. cit. p. 325.

(53) محمود كعت، المصدر السابق، ص 122 .

(54) نفسه ، ص 106.

(55) نعيم قداح، المرجع السابق، ص 145 وما بعدها.

(56) الموسوعة العربية، المجلد السادس، الطبعة الأولى، الجمهورية العربية السورية، سوريا، 2002، ص 853.

(57) أبو بكر إسماعيل محمد ميقا، مجلة الدارة، المرجع السابق، ص 224.

(58) عبد القادر زبادية، "ملاحح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر"، المجلة التاريخية المغربية، 1976، العدد 7 - 8 ، ديسمبر، ص 34

(59) Sékééné, (M-C), «La vocation Culturelle de Tombouctou à L'unité du Monde Africain » Revue la Culture Africaine, p. 221.

(60) يحيى بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى القرن 20م، دار هومة، الجزائر، 2001، ص 195 .

(61) John, (M), op. cit. p. 177.

(62) نعيم قداح، المرجع السابق، ص 157 وما بعدها.

(63) سينكي مودي سيسوكو، المرجع السابق، ص 220.

(64) علي محمد عبداللطيف، المرجع السابق، ص 101.

(65) عبد القادر زبادية، مجلة التاريخية المغربية، المرجع السابق، ص 32 .

(66) نفسه، ص 32 .

(67) عمر بن سالم بابكور، المرجع السابق، ص 25.

(68) Hacquard, op. cit. p. 44.

(69) Dubois, (F), op. cit. p. 331.

(70) محمود كعت، المصدر السابق، ص 180.

(71) عبد القادر زبادية، المجلة التاريخية المغربية، المرجع السابق، ص 32 .

(72) حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص 86.

(93) عصمت عبد اللطيف دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (1038-1121م)، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى بيروت 1988، ص 166.

(74) عمر بن سالم بابكور، المرجع السابق، ص 35 وما بعدها.

(75) عنتا ديوب، "عملية نشر الإسلام في إفريقيا السوداء، ودور جامعة تومبوكتو"، كتاب الأصالة، الجزء الثاني، 1978، ص 277 .

(76) عبد القادر زبادية، المجلة التاريخية المغربية، المرجع السابق، ص 36.

(77) Dubois, (F), op. cit. p. 324.

(78) عبد القادر زبادية، نفسه، ص 36.

- (79) نفسه، ص 35.
- (80) عمر بن سالم بابكور، المرجع السابق، ص 29 .
- (81) Dubois,(F),op.cit.p.329.
- (82) عمر بن سالم بابكور، نفسه، ص 28 .
- (83) عبدالقادرزبادية،المجلة التاريخية المغربية، المرجع السابق، ص 36 .
- (84) عمر بن سالم بابكور، المرجع السابق، ص 28.
- (85) Hacquard,(L),op.cit.p.44
- (86) عمر بن سالم بابكور، نفسه، ص 29.
- (87) حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دارالفكر العربي، القاهرة، 2001، ص 207.
- (88) عبدالرحمن السعدي،المصدر السابق، ص 38 وما بعدها.
- (89) شعباني نور الدين، علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وأثارها الحضارية بين القرنين (4-9هـ،(10-15م)،رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، السنة الجامعية،2005-2006م،ص 179 وما بعدها.. . ينظرأيضا . Dubois ,(F),op.cit.p.333.
- (90) يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص195.
- (91) عبدالقادرزبادية،المجلة التاريخية المغربية،المرجع السابق، ص 33.
- (92)أحمد شلبي،موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،8أجزاء،الجزء6،القاهرة،1998، ص 235. ينظر أيضا:أبو بكرإسماعيل محمد ميقا،المرجع السابق، ص 249 .
- (93)علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق،ص 94 .
- (94) محمود كعت،المصدر السابق، ص 94. ينظرأيضا: عثمان برايمباري،المرجع السابق، ص 29.
- (95)علي محمد عبد اللطيف،المرجع السابق، ص 102 .
- (96)عصمت عبد اللطيف دندش،المرجع السابق، ص 166 .
- (97) عمر بن سالم بابكور، المرجع السابق، ص 36وما بعدها.
- (98) قناة الجزيرة، حلقت قدمت في برنامج تحت المجهر، عنوانها " تميكثو جوهرة الصحراء".
- (99) يعود تاريخ هذه المكتبة إلى 872هـ/1468م منذ ان نفي علي بن زياد الوتي أو القوتي من الأندلس فانطلق إلى طليطلة وممر على سبتة ثم فاس ثم ولاتة ثم بلد سوننكي، حيث تزوج خديجة أخت الملك محمد سيلا، وأنجب منها ولد اسمه محمود الذي سميت المكتبة باسمه إذا تاريخ المكتبة بدا هنا... قناة الجزيرة.
- (100) عمر بن سالم بابكور، المرجع السابق، ص 37وما بعدها.
- (101) عبدالقادرحيدرة فضل صاحب المكتبة ، نقلا عن المصدرالسابق، قناة الجزيرة.
- (102)Dubois,(F),op.cit.p.327.
- (103) عنقا ديوب، مجلة الأصالة، المرجع السابق،ص 277 .
- (104) أبو بكر إسماعيل محمد ميقا، مجلة الدارة،المرجع السابق،ص 233.
- (105) نعيم قدام، المرجع السابق، ص 160.
- (106) أبو بكر إسماعيل محمد ميقا، مجلة الدارة، المرجع السابق، ص 233 .
- (107) نعيم قدام، المرجع السابق، ص 160.
- (108) أبو بكر إسماعيل محمد ميقا، مجلة الدارة، المرجع السابق، ص 222 وما بعدها.
- (109) محمد بن عبدالكريم المغيلي،أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي، تحقيق عبدالقادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1974. ص 8 وما بعدها.
- (110) ابن مريم الشريف الملبتي المديوني التلمساني، البستان في ذكرالأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ ص 254.
- (111) محمد بن عبدالكريم المغيلي، المصدرالسابق، ص 18 .
- (112) ابن مريم الشريف، المصدر السابق، ص 256 .
- (113) أبو بكر إسماعيل محمد ميقا،مجلة الدارة،المرجع السابق، ص 222.
- (114) نفسه،ص223.
- (115) أحمد بابا التنبكتي،نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، جزءان، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة،2004.الجزء الثاني،ص 290 وما بعدها.

- (116) أحمد بابا التتبيكتي، نفسه، ص 304 وما بعدها. ينظر أيضا: البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 146.
- (117) أبويكر إسماعيل محمد ميقا، مجلة الدارة، المرجع السابق، ص 218.
- (118) أحمد بابا التتبيكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق محمد مطيع، جزءان، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2000، الجزء الأول، ص 132 وما بعدها.
- (119) أحمد بابا التتبيكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، الجزء الثاني، ص 303.
- (120) نفسه، ص 303 وما بعدها.
- (121) نفسه، ص 278 وما بعدها. ينظر أيضا: البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 146.
- (122) عثمان برايما باري، المرجع السابق، ص 26.
- (123) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 146.
- (124) أحمد بابا التتبيكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، الجزء الأول، ص 181.
- (125) أحمد بابا التتبيكتي، المصدر السابق، الجزء الأول، ص 137 وما بعدها. ينظر أيضا: عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 42. ينظر أيضا: البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 29.
- (126) محمود كعت، المصدر السابق، ص 9.
- (127) مونتاي قنسان، الإسلام الأسود، ترجمة إلياس حنا إلياس، الطبعة الأولى، دار أبعاد بيروت، 1983، ص 86.
- (128) Dubois, (F), op.cit. pp.342- 343.
- (129) جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي، 1999. ص 157.
- (130) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 31.
- (131) Mahmoud A.zouber, **Ahmad BABA de tombouctou (1556 -1627), sa vie et, son œuvre** paris, 1977.p.14
- (132) البرتلي الولاتي، نفسه، ص 32
- (133) Mahmoud (A.Z).Ibid, pp.24-26
- (134) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 34 وما بعدها.
- (135) Dubois, (F), op.cit.p.347.
- (136) Mahmoud, (A.Z), Ibid.p-p28-31.
- (137) Mahmoud, (A.Z)Ibid, pp32-34.
- (138) البرتلي الولاتي، نفسه، ص 36.
- (139) نفسه، ص 176.
- (140) أحمد فؤاد بليغ، "عصره وكتابه (تاريخ السودان)"، المجلة التاريخية المصرية، 1973، العدد العشرون، ص 102.
- (141) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 176.
- (142) أبويكر إسماعيل محمد ميقا، مجلة الدارة، المرجع السابق، ص 248 وما بعدها.
- (143) محمود كعت، المصدر السابق، ص 179.
- (144) عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 21 وما بعدها.
- (145) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 541.
- (146) عبد القادر زيادية، مملكة سنغاي في عهد الأسفيين (1493 - 1591)، ص 73.
- (146) عبد القادر زيادية، نفسه، ص 74. ينظر أيضا: الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 18.
- (147) محمود كعت، المصدر السابق، ص 89 وما بعدها. ينظر أيضا: الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 134.
- (148) محمود كعت، المصدر السابق، ص 60.
- (149) نعيم قدام، المرجع السابق، ص 171.
- (150) نفسه، ص 172.
- (151) عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 118.
- (152) نفسه، ص 76.
- (153) عبد القادر زيادية، مملكة سنغاي في عهد الأسفيين (1493 - 1591)، ص 75.
- (154) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 136.
- (155) نفسه، ص 136.
- (156) عبد القادر زيادية، مملكة سنغاي في عهد الأسفيين (1493 - 1591)، ص 76.
- (157) Dubois, (F), op.cit.p326.

(158) الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 139

(159) نفسه، ص 139.

(160) Janes,(G-J),op.cit.p.17.

(161) عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق، ص 90.

(162) Janes,(G-J),Ibid,p.19.

(163) Barth,(H),op.cit.p.293..

(164) أحمد بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ، الجزء الثاني، ص 291 .

(165) نفسه، الجزء الأول، ص 399 وما بعدها.

(166) البرتلي الولاتي، المصدر السابق، ص 178 .